حديث ذكريات الدكتور سيد مصطفـــــــــــى عن الأستاذ نعمان لـ 14 أكتوبر :

عندما التقيت لأول مرة الأستاذ نعمان، وجـــــدت نفسي أمام عملاق كبير ذي تاريخ شامخ

في أواخر سنة 1971 م ، هبط شاب مصري إلى أرض سبأ (اليمن) وكان ممتلئاً بالحيوية والنشاط والطموح والحماس الكبير ، حاملا بين ثنايا ضلوعه حب عميقا لليمن واليمنيين وتاريخهم التليد الرائع .

وفي مقتبل حياته العلمية قدم رسالة الماجستير في جامعة القاهرة في تاريخ اليمن الحديث سنة 1960م ، وقبل أنّ يصافح سهولها، وهضابها ، ووديانها ، وجبالها. ساقته الأقدار أنّ يتعرف عن كثب على أهم رواد الأحرار اليمنيين إن لم يكن أهمهم على الإطلاق الذي كان له الدور المهم والكبير في التمهيد لثورة 1948م وهو الأستاذ الكبير أحمد محمد نعمان الذي كان يعيش في القاهرة في فجر الستينيات حينئذ ، ومن خلاله تعرف الشاب المصري عن قرب على الكثير والكثير جدّا عن أوضاع اليمن واليمنيين في ظل نظام الحكم الإمامي الجامد الذي عزل اليمن عن محيطه العربي والدولي من ناحية ونشر الجور والظلم بين الشعب اليمني من ناحية أخرى وتعرف أيضًا على اهتمام الأستاذ نعمان بقضية التعليم . هذا الشاب المصري الذي أحبه وفتح له صدره الأستاذ نعمـــان والشهيد محمود الزبيري الأستاذ والدكتور سيد مصطفى سالم الذي هبط منذ أربعة عقود على السعيدة العربية (اليمن) ودرّس في جامعتها صنعاء، تخرج من تحت معطفه الكثير والكثير جدّا من طلاب كلية الآداب ــ قسم التاريخ ، ويشرف ــ حاليًا ــ على رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعة .

ويعد الدكتور سيد مصطفى ــ بحق ــ مرجعية في تاريخ اليمن الحديث المعاصر. فقد ألف الكثير من المؤلفات التاريخية القيمة المختلفة وقام بتحقيق العديد من المخطوطات اليمنية التي تعتبر من ذخائر تراث وتاريخ اليمن . وكل من عرف شخصية سيد مصطفى سالم أحبه واحترمه فهو يتسم بأخلاق العلماء الأجلاء، ويروي الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم حديثًا ذا شجون عن ذكرياته مع رائد الحركة الوطنية الأستاذ أحمد محمد نعمان ، وفيما يلي نصه :

■ سيد مصطفى سالم

السلطات البريطانية حرصت على إبعاد الأستاذ نعمان من عدن قبل زيارة المندوب السامي للمملكة اليمنية بيوم واحد

حديث أجراه : محمد زكريا

خبر في جريدة " الأهرام "

قبل أنّ يجيب الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم عن البدايات الأولى السعيدة التي قادته إلى أنّ يلتقي وجهًا لوجه بالأستاذ أحمد نعمان رائد الحركة الوطنية الذي أشعل جذوة ثورة 48م ، عاد بذكرياته إلى نحو خمسين عامًا خلت وتحديدًا في 1960م ، أو بعبارة أخرى قد حلق بجناحيه الرقيقتين في سماء عالمه الذي يعيشه الآن إلى سماء عالم آخر أو قل إذّ شئت سماء عالم الذكريات كان ولايزال يحمل فيه أجمل وأعبق الذكريات الجميلة في قلبه وعقله ولسانه وقلمه فيقول : نشرت جريدة " الأهرام " خبرًا صغيرًا في أحد أيام صيف 1960م ، كان نصه كالآتي : " أنّ الطالب سيد مصطفى سالم ، قد انهى درجة الماجستير، وأنها ستناقش قريبًا ، وأنها بعنوان (اليمن تحت حكم الإمام يحيى) " .

المجتمع اليمني بالقاهرة

ويمضي سيد مصطفى في حديثه : والحقيقة كان هذه الخبر المنشور في جريدة " الأهرام " مُدّدًا جديدًا لطريق طويل لم ينته بعد للتعرف على المجتمع اليمني الصغير في القاهرة على تباين مشاربه السياسية ، وفئاته الاجتماعية، ثم الطريق بعد ذلك إلى خطوات خطوتها في اليمن ذاته. والحقيقة لقد فاجأني صديقي العزيز المرحوم وحيد النقاش بأنّ كثيرًا من اليمنيين يريدون التعرف عليّ . وسعدت كثيرًا ورحبت بذلك ترحيبًا حارًا بسبب أنني سأتعرف عن كثب على ملامح المجتمع اليمني ، ومن خلاله استطيع أنّ أتعمق في تاريخ اليمن.

وبسترسل : والحقيقة أنّ ولوجي من هذا الباب الواسع المتمثل بمعرفتي بالأستاذ نعمان والشهيد الزبيري اللذين فتحا عيني على اليمن ومشاكله المختلفة السياسية والاجتماعية والغوص في قضاياه المختلفة - وسيأتي الحديث عنهما بشيء من التفصيل بعد قليل - كان بداية التطلع الحقيقي عن كثب على المجتمع اليمني في القاهرة بجميع فئاته وأحزابه، وطبقاته من كبرائه من جيل الأستاذين الكبيرين الشهيد محمود الزبيري ، والأستاذ أحمد نعمان ، وعلى صغار من طلبة ميعوثي أو دارسي علم في مراحل التعليم الأزهري أو غير ذلك .

عملاق ذو تاريخ شامخ

ويذكر الدكتور سيد مصطفى سالم المقابلة الأولى مع رائد الحركة الوطنية الأستاذ نعمان في القاهرة ــ وقد لمعت عيناه ــ قائلا: مازال اللقاء الأول مع الأستاذ نعمان وجهًا لوجه في منزله كأنها وقعت في الأمس القريب أي أن تفاصيلها لاتزال محفورة في كل ذرة من كياني . على أيـة حـال ، قادني بعد ذلك وحيد النقاش إلى منزل الأستاذ الكبير الزعيم اليمني الراحل أحمد نعمان في حي الدقي بالقاهرة . والحقيقة لقد وجدتُ نفسي عندما وصلنا (أنا وصديقي وحيد النقاش) إلى منزل الزعيم ، وجدت نفسي أمام عملاق كبير ذي تاريخ شامخ، إذ هو أحد أثنين من زعماء الثورة اليمنية في عام 1948م، ولم يتوقف نضاله بعد ، هو وزميله الشهيد محمود الزبيري.

والنقيت أيضًا بالأديب الشاعر المرهف الحس أحمد الحصراني الذي كان يمور موّرًا بالوطنية، والذي تعرفت عليه بعد أيام قليلة من هذا اللقاء الحقيقي مع الأستاذ نعمان . فقد ذهبت إلى شقته بأعلى العمارة التي كانت في ميدان الدقي نفسه . وصار أحمد الحصراني من أقرب الناس إلـى نفسي ورفيـق مشواري الطويل في صنعاء اليمن .

حواراتي مع الزبيري ونعمان

ويقول سيد مصطفى ، كيف تحول اللقاء الأول مع الأستاذ أحمد نعمان إلى لقاءات عديدة وحوارات مطولة ، ومناقشات متنوعة كلها كانت تصب في قضايا اليمن السياسية والاجتماعية المتنوعة ، وفي أحدى تلك اللقاءات العديدة مع (الأستاذ) التقيت برائد الحركة الوطنية الشهيد والأديب والشاعر الكبير محمد محمود الزبيري ، وتوثقت علاقتي به مثلما توثقت علاقتي بالأستاذ نعمان ، وكانا كلاهما حريصين في أثناء تلك اللقاءات والحوارات العديدة التي كانت تعقد بيننا على مناقشة محتوى رسالة الماجستير والتي سأقدمها في جامعة القاهرة. وكانا يبديان اهتمامًا بالغًا بها .

وبسترسل: وطالت حواراتي بيني وبين الأستاذ نعمان ، وكان يشجعني باستمرار ويثني ثناء كبيرًا على رسالتي ومحتواها ، وكذلك فعل الأستاذ الزبيري.

ويضيف : والحقيقة لقد شعرت ولمست من اللقاءات العديدة والحوارات العميقة مع الشهيد الزبيري والأستاذ نعمان أبوية صادقة وحميمة مفعمة بروح السعادة لعثورهما على شاب مصري مهتمًا بتاريخ اليمن الحديث ، ويقدم رسالة ماجستير عن تاريخه الحديث ، ويكتب عنه رسائل علمية ، وكنت قد أبلغتهما في سياق حواراتي معهما حول رسالة الماجستير بأني سأواصل رسالة الدكتوراه عن تاريخ اليمن أيضًا ، عندما أنال الرسالة وستكون إذّ شاء الله عن فترة الإمام أحمد الذي قبض يد من حديد على أمور اليمن بعد فشل ثورة 1948م، وكانت ثورة سبتمبر 1962م مازالت في علم الغيـــب .

شخصيات وطنية لا تنسى

وردًا على سؤالي حول الشخصيات اليمنية الوطنية الأخرى التي التقى بها الدكتور سيد مصطفى إلى جانب الأستاذ أحمد نعمان والشهيد محمود الزبيري في القاهرة.

أجاب ــ على الفور ــ : في الحقيقة كانت هناك شخصيات وطنية يمنية متميزة لا تنسى ، تحتّ في نفسي ذكريات رائعة التقيت بها في القاهرة إلى جانب معرفتي بالأستاذ نعمان ، والشهيد الزبيري ــ كما قلنا سابقًا ــ .

والحقيقة أنّ تلك الشخصيات التي التقيت بها كانت تتسم بالحب الكبير لبلادها والإخلاص العميق ، وإنها كانت تضحي بصحتها، ووقتها ، وتبذل قصارى جهدها لتعريف الآخرين أحوال اليمن البائسة تحت ظل نظام حكم أسرة آل حميد الدين.

ويمضي في حديثه : وكان من أوائل من تعرفت عليهم المرحوم الشهيد محمد ابن الأستاذ نعمان ، وهو شاب متعطش للحرية ممتلئ بالروح الوطنية مخلص ، وصادق، ولكن مع الأسف العميق ، فقد اغتيل في عز شبابه في بيروت بعد الثورة ، وقد كان في الإمكان أن يقدم هذا الشاب الوطني الثوري الخير الكثير لليمن ــ ولكن القدر انتزعه بين بيننا ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ .

وقد أهداني (محمد) من منزل والده 12 نسخة من "صوت اليمن" والتي كان لها صدى كبير بين اليمنيين قبل ثورة 48م ، وكانت الناطق الرسمي لحزب الأحرار والمعبرة الحقيقية عن تطلعات وطموحات وآمال الشعب اليمني في التخلص من نير حكم أسرة حميد الدين ، ولقد ساهمت «صوت اليمن» مساهمة مهمة في تعرية مساوئ أركان نظام أسرة حميد الدين وعلى رأسهم الإمام يحيى . والجدير بالذكر أنّ «صوت اليمن» انتشرت انتشارًا كبيرًا في تعز ، وصنعاء ، وغيرها من المدن اليمنية المهمة.

وقد أعاد إصدارها الأستاذ نعمان والشهيد الزبيري في القاهرة بعد فشل ثورة 1948م .

■ جمال عبدالناصر

■ الشهيد الزبيري

■ أحمد محمد النعمان

(قهوة إنديانا)

وبسترسل الدكتور سيد مصطفى ــ وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة ، وقد توقف برهة عن مواصلة الحديث ليستحضر تلك الذكريات المتألقة التي مازالت منحوتة في نفسه ــ ، قائلا : في الحقيقة كانت تلك الفترة تعد في نفسي من أزهى الفترات التي عشتها وعايشتها في صرخ الشباب ، فقد عايشت إرهاصات الثورة في القاهرة أو بعبارة أخرى قبل أنّ تنطلق من فوهة بركان اليمن . وعلى أية حال ، كان من بين من التقيت بهم من الأحرار اليمنيين هو الأستاذ والشاعر الكبير إبراهيم الحصراني الرفيق ــ كما قلنا سابقًا ــ وكان من أحد رواد الحركة الوطنية في ثورة 48م ــ الذي كان يتردد دائمًا على (قهوة إنديانا) في ميدان القاهرة التي كانت ملتقى الأدباء والشعراء من مصريين وغيرهم من العرب مثل (قهوة ريش) في وسط البلد ، وكان هؤلاء وأولئك يناقشون هموم الوطن العربي والعمل على حلها.

حقًا كانت فترة نهضة وطنية زاهية في مسيرة تاريخ الوطن العربي ، وكان الطلبة اليمنيون الميعوثون كثيرين

■ صنعاء القديمة

رمـــز المقاومـــة

□ كيف كانت نظرة اليمنيين على تباين فئاتهم الثقافية ومشاربهم السياسية إلى الشهيد محمد محمود الزبيري ، والأستاذ أحمد نعمان في القاهرة ؟ .

- في الحقيقة لقد رأيت ولمست أنّ اليمنيين على تباين مشاربهم السياسية واختلاف طبقاتهم الاجتماعية من تجار، وساسة ، ومشايخ المعارضين لنظام أسرة حكم أسرة حميد الدين ، كانوا ينظرون إلى الشهيد الزبيري، والأستاذ نعمان نظرة توقير وتقدير واحترام عميق لدورهما الرائد في الحركة الوطنية ضد نظام حكم الإمامة . والحق يقال كان الزبيري ونعمان يمثلان لهؤلاء المعارضين اليمنيين رمز المقاومة ضد حكم نظام أركان أسرة حميد الدين . ويستطرد: وعلى أية حال، ظلت العلاقة بيني وبين عدد من المعارضين اليمنيين تقوى وتنمو للحصول على مزيد من المعلومات أو الكتابات ، وخاصة أنّ الكتابات هذه كانت من طرف الدينمو السياسي الشهيد محمد بن الأستاذ الكبير نعمان الذي كان حريصًا على جمع أكبر قدر منها لإهدائها لي ومن ثم كتابة تاريخ اليمن بوضوح وعمق وصدق .

ريـــاح الثـــورة

□ هـل كـان هناك إحساسًا حقيقيا في ظهور فجر الستينيات في سماء اليمن بأنّ رياح الثورة أو ريـاح التغيير ستهب على اليمن وتقلع نظام أسرة حميد الدين التي حكمت العباد والبلاد ردحًـا من الـزمـان ، وتحدثُ تغييرًا جذريًـا في خريطة اليمن السياسي، والاجتماعي ، والاقتصادي في اليمن ؟ .

وأجاب الدكتور سيد مصطفى: نعم كـان هناك شعور جارف بأنّ رياح الثورة أو رياح التغيير ستهب قريبًـا، فمن يعايش الزخم الثوري والوطني القوي والواضح بين أوساط اليمنيين المعارضين على تباين مشاربهم السياسية واختلاف حظوظهم العقلية في القاهرة في مطلع الستينات (1960م) يحس إحساسًا حقيقيًا أنّ الثورة قاب قوسين أو أدنى من انفجارها في اليمن ، وأنّ المسألة مسألة وقت، ويستطرد سيد مصطفى: فمن خلال العلاقات الواسعة والفاتحة والعميقة مع الكثير من الأحـرار اليمنيين فضلا عن الكتابات والمعلومات عن أحوال اليمن في الداخل التي كانت تصلني من خلال الزملاء اليمنيين المتعطشين للحرية والتخلص من أركان نظام حكم

من مشروعاته التعليمية والثقافية الرائعة تأسيسه (كلية بلقيس) في عدن

أسرة حميد الدين الفاسدة أمثال الشهيد محمد بن الأستاذ نعمان ــ كما قلنا سابقًا ــ والشاعر الرائع إبراهيم الحصراني كل تلك العوامل مجتمعة تدفع المرء بأنّ الثورة قادمة لا محالة ، وأنّ هناك ثورة يمنية أخرى قوية منظمة ستدك معاقل الظلم والظالمين بعد ثورتي 1948م بزعامة عبد الله الوزير ، وحركة 1955م ــ بقيادة الشهيد البطل المقدم أحمد الثلايا التي انطلقت من مدينة تعز ــ ستغير الخريطة السياسية تغيرًا شاملا وكاملا في اليمن . ويمضي في حديثه : والحقيقة كانت هناك عوامل أخرى مهمة ومساعدة ساعدت على قيام ثورة 26 سبتمبر وهي موقف مصر ــ عبد الناصر التي نهجت نهجًا ثوريًا يرمي إلى تحرير الشعوب العربية من الخليج إلى المحيط من مخالب الاستعمار الأجنبي من ناحية وتحريرها من الرجعية من ناحية أخرى ، وبعبارة أخرى كانت هناك إرهاصات واضحة وقوية بأنّ رياح التغيير قادمة لا محالة على اليمن حيث كانت أحداث القاهرة تتسارع هي أيضا " حتى تصورت أنها تسابق الزمن ، إذ قامت الثورة المصرية بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر بحركات الإصلاح الزراعي ، وتأميم قناة السويس ، وما تلاها من حرب العدوان الثلاثي على مصر من قبل انجلترا وفرنسا وإسرائيل سنة 1956م وغير ذلك من إصلاحات اقتصادية أحدثت تغييراً جذريا في حياة المجتمع المصري " .

وانفجر البـــركـــان

□ ويروي سيد مصطفى عن أخبار سماعه لقيام الثورة في اليمن من إذاعة (صوت العرب) بالقاهرة ، فيقول : وهنا وقعت الأحداث التي كنت انتظرها هي قيام الثورة في اليمن . ففي صباح يوم 26 سبتمبر 1962م أذاع راديـو (صوت العرب) بالقاهرة قيام ثورة في اليمن ، ونشرت جميع الصحف المصرية ذلك الخبر الهام ، والذي اهتم به الجميع لمتابعة تفاصيل الثورة التي بزغت من ظلمات الليل الحالك. وبسترسل : وكان من الطبيعي أنّ تأخذني ثورة اليمن كل مأخذ وتستحوذ على كل اهتمامي بسبب ما ذكرته في السابق عن لقاءاتي وحواراتي الكثيرة والوثيقة مع الأحرار اليمنيين وعلى رأسهم الأستاذ نعمان ، والشهيد الزبيري فتعرفت بصورة واضحة وعميقة عمّا كان يجري في اليمن في عهد حكم الإمام يحيى وبعده الإمام أحمد ، ولسنا نبالغ إذا قلنا أنّ الثورة كانت بالنسبة لي الشغل الشاغل في تفكيري. وكان من الضرورة بمكان أنّ أبحث بصورة دائمة وأسأل بلهفة عن القائمين بها والاستفهام عن المعارضين لها وعلى رأسهم الإمام محمد البدر الذي تولى الإمامة أسبوعًا واحدًا بعد وفاة والده الإمام أحمد وبعدها عصفت الثورة به وبأركان حكم أسرة حميد الدين إلى الأبد. ويبدو أنّ المؤرخ في طبيعتي هي التي حركت نفسي إلى البحث والاستقصاء ورصد عمّا يجري في أحداث الثورة إلى جانب الأسباب الأخرى التي سبقتها قبل قليل وهي ارتباطي الشديد بالأحرار اليمنيين على تباين اتجاهاتهم السياسية ، واختلاف فئاتهم الاجتماعية قبل قيامها بعامين وأولا وقبل كل شيء معرفتي بالأستاذ نعمان ورفيق كفاحه الطويل والشاق الشهيد محمود الزبيري .

في اليوم الثالث

□ وسألت الدكتور سيد مصطفى هل التقيت بالأستاذ أحمد نعمان ، والشهيد محمود الزبيري لتطلع بصورة أعمق ووضح على مشهد قيام الثورة في اليمن وأحداثها الجارية فيها حينئذ؟.

أجاب على الفور : لقد مرت الساعات والأيام الأول من اندلاع الثورة وأنا في شوق شديد لمعرفة أحداثها ورجالاتها الذين قاموا بها ، وكان من الضروري أنّ ألتقي بالأستاذ نعمان والشهيد الزبيري للإجابة على الكثير من تلك الأسئلة التي كانت تلح عليّ ، فقد كانت الثورة الوليدة موضع اهتمام الجميع على تباين مشاربهم السياسية، واختلاف تفكيرهم الثقافي لليمنيين وغير اليمنيين في القاهرة . ويسترسل : والحقيقة لم استطع في تلك الفترة أنّ أتصل بهما بسبب أنّ تليفوني الأستاذ نعمان ، والشهيد الزبيري كانا مشغولين ليلًا ونهارًا ولكني تمكنت في النهاية من أنّ أحصل على موعد مع الشهيد الزبيري في اليوم الثالث أو الرابع من أيام الثورة .

الزبيري والماجستير

□ سألت الدكتور سيد مصطفى عن أهم الأسباب الحقيقة وراء مقابلة الأستاذ نعمان والشهيد الزبيري ؟

أجاب : ذكرت سابقا أنه كان من أهم أسباب مقابلتي الأستاذ نعمان والشهيد الزبيري لهفتي الشديدة في معرفة أخبار الثورة في اليمن عن كثب ، وهناك أيضًا سبب آخر شخصي هو أنّ الشهيد الزبيري ، كان قد استعار نسخة من رسالة الماجستير للإطلاع عليها ومناقشتها معي ، والحقيقة خشيت أنّ تظل حبيسة منزله أو يحملها معه إلى اليمن بعد قيام الثورة . ويسترسل : وقد وصلت إلى منزل الشهيد الزبيري في الدقي في الوقت المناسب الحرج ، فقد قابلته وهو ينزل من سلم العمارة ، وكان يحمل الرسالة في يده مستأذنًا أنّ تظل معه لإكمال الإطلاع عليها فوافقت على الفور دون تفكير حرجًا منه . والحقيقة أنّ كلا من الأستاذ نعمان أو الشهيد الزبيري كان شخصيتاهما تتسمان بالهيبة والوقار الكبيرين من ناحية وبتحليان بغزارة العلم والمعرفة في كثير من فنون المعرفة من ناحية ثانية وقدرتهما على الحوارات التي تشد المرء شدًا من ناحية أخرى كل تلك الأسباب تجعلني أو تجعل غيري ينصاع إلى كلامهما ، ويلبي طلبهما . فعندما طلب مني الشهيد محمود الزبيري أنّ تظل رسالة الماجستير في حوزته وافقت على الفور دون تردد، كما قلنا سابقا.

ويمضي في حديثه : وكما هو معروف، فقد أستشهد الزبيري في جبال برط باليمن ، وبالتالي لم تعد لي شهادة الماجستير التي، كانت في حوزته وقد حصل عليها صاحب الحظ من اليمنيين في نهاية الأمر ، إذ ظلت بين تراث ومخلفات المرحوم الزبيري فيما بعد ، فلم نلتق بعد تلك المقابلة التاريخية ، فليرحمه الله ويفسح له في جناته .

الزبيري والسفر إلى اليمن

ويمضي الدكتور سيد مصطفى سالم في حديثه : ولقد دعاني الشهيد الزبيري للسير معه لأنه متوجه إلى منزل الأستاذ نعمان لمقابلته للأهمية القصوى ، ورحبت بدوري بهذه الدعوة ، فقد كنت دائمًا في شوق إلى الجلوس معه وسماع حديثه الشيق دائمًا الذي كان تشعرني بحديث الأب الحنون . وفي الطريق القصير بين المنزلين في الدقي عرفت من الزبيري أنه تلقى تليفونيًا استدعاء إلى اليمن وأنه سيسافر صباح الغد ، أمّا الأستاذ نعمان فهو متردد في السفر. هل سألت الشهيد الزبيري عن سبب أو أسباب سفره إلى اليمن بهذه السرعة وبُعيد قيام الثورة ؟.

أجاب : والحق أقول كان من الصعوبة بمكان أنّ أتجرأ وأسأل الشهيد الزبيري هذا السؤال لأنني كنت أراه شيئا كبيرًا وفضلا عن ذلك لم تكن علاقتي تسمح لي أنّ أناقشه حول سفره إلى اليمن .

سبب تردد الأستاذ نعمان عن السفر ؟

قطعت خيط حديثه ، وسألته ما السبب أو الأسباب التي جعلت الأستاذ أحمد نعمان يمتنع عن السفر مع رفيق دربه الزبيري إلى اليمن، وهما اللذان خاضا مشوارا طويلا وشاقا وصعب في ميدان النضال ضد الظلم والظالمين في اليمن؟.

أجاب : مَن المحتمل أنّ يكون هناك أسباب عدة ، قد حالت بينه وبين السفر إلى اليمن مع. وكان من الصعب أنّ أسأل (الأستاذ) عن سبب عدم سفره إلى اليمن مع رفيق كفاحه الشهيد محمود الزبيري نظرًا لكوني كنت أشعر بخجل شديد أنّ أتجاوز حدودي معه .

رســـالـــة الدكتـــوراه

□ وحـول رسالة الدكتوراه التي قدمها عن تاريخ اليمن الحديث، يقول الدكتور سيد مصطفى :

وخلال تلك الأيام والشهور تغير اتجاه خطواتي من حي الدقي إلى حي باب الخلق ، فقد سافر حينذاك أغلب اليمنيين إلى بلادهم أستجابة لنداء الثورة . ويتوقف سيد مصطفى برهة، ثم يضيف قائلا: " كنت أرغب أنّ أواصل دراسة تاريخ اليمن بعد سنة 1948م حتى قيام الجمهورية اليمنية سنة 1962م ، وذلك تحت عنوان ((تطور الحركة الوطنية في اليمن حتى قيام الثورة)) ولكن أستاذي المشرف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم أثر ــ لاعتبارات علمية ومنهجية ــ أنّ أعود زمنيًا إلى بداية تكوين تاريخ اليمن الحديث ــ أي إلى القرن السادس عشر الميلادي حتى أقف على الأصول التاريخية لأوضاع اليمن الحديث والمعاصر، ومن ثم رأى سيادته أنّ أدرس موضوع ((الفتح العثماني الأول لليمن 1538 ــ 1635م)) لأنه يحمل بين طياته الكثير من العوامل التي أثرت في تاريخ اليمن الحديث حتى قيام ثورة 1962م . ويستطرد ، قائلا : حينذاك عكفت على التوجه إلى دار الكتب المصرية القديمة لأنهل مما بها من كم هائل من مخطوطات عربية وخاصة اليمنية ، كما أنصب جهدي للانتهاء من رسالة (الدكتوراه) ، فعكفت في منزلي أغلب الأيام والشهور .

الطريق إلى جامعـــة صنعـــاء

□ كيف انتقلت من جامعة عين شمس إلى جامعة صنعاء أو بعبارة أخرى ما هي الظروف التي جعلتك تدرس في جامعة صنعاء ؟ .

يقول الدكتور سيد مصطفى ــ وقد ارتسمت على وجهه المستطيل النحيل ابتسامة عريضة على مستحضرًا ذكريات عمرها أكثر من ثلاثة عقود وتحديدا سنة 1971م ــ يبدو أنّ الأقدار كانت تهيئ لمسيرة جديدة لحياتي ، فبعد الانتهاء من حصولي على درجة الدكتوراه ، وتعييني بكلية الآداب جامعة عين شمس ، عرفت أنّ وزير التربية والتعليم السيد الأستاذ أحمد جابر عفيف كان يلح على رئيس جامعة عين شمس لإعارتي لجامعة صنعاء ، فوافق رئيس الجامعة بصعوبة لمخالفة ذلك للوائح الإعارة بالجامعة المصرية . ويمضي في حديثه : وكان لقاء الوزير أحمد عفيف مع رئيس جامعة صنعاء المنحنى العميق في حياتي ، فبعد أنّ كان جل أملي أنّ أتعرف على بعض اليمنيين بالقاهرة لأحصل على بعض المادة أو المواد التاريخية ، وأواصل بعض الجهد في كتابة التاريخ اليمني وجدت نفسي ، وقد أصبحت جزءًا من نسيج المجتمع اليمني نفسه ولمدة قرابة أربعة عقود مازلت أعمل في جامعة صنعاء وتحديدا منذ أواخر 1970م . ولقد تخرج الكثير والكثير جدًا من طلابها من كلية الآداب ــ قسم التاريخ ــ على يدي في مادة التاريخ ، وأشرف حاليًا على رسالات الماجستير والدكتوراه التي يتقدم بها طلاب قسم الدراسات العُليا .

مع الأستاذ نعمان في صنعـــاء

□ هل التقيت الأستاذ أحمد نعمان من جديد في صنعاء بعد أنّ تبوأ مناصب رئاسية مهمة في اليمن؟ .

أجاب : عندما هبطت بنا الطائرة في أكتوبر 1971 في مطار صنعاء ــ الذي لم يكن قد أكتمل بعد ــ لم يكن همي في الحقيقة إلا ّ العثور على بعض معارفي القدامى وعلى رأسهم الأستاذ الكبير أحمد نعمان ، فقد كان القطب الآخر من معارفي هو الشهيد محمد محمود الزبيري والذي استشهد على تراب اليمن في الأول من إبريل 1965م . ويستطرد : وكانت السياسة والمناصب الرئاسية ، قد أدخلت الأستاذ نعمان فترات متباعدة . والحقيقة في أثناء تلك اللقاءات القليلة أو قل النادرة بسبب مشاغلة المهمة والكثيرة ــ كما ذكرنا سابقًا ــ كان ينزع من مشاغله الكثيفة ، فيسأل عن أحوالي ، وأوضاعي بنفس الأسلوب الأبوي والحنون ، وبنفس الابتسامة التي كان يقابلني بها في بيته بالدقي بالقاهرة ، فزادتني تعلقا به .

في مجـــلس الـــقـــات

ويسترسل سيد مصطفى في حديثه : ومرت العلاقات بيني وبين الأستاذ أحمد نعمان بهذه ألوتيرة حتى ضبطني في (خمر) في أحدى الضيافات الكبيرة التي أعدها المرحوم الشيخ عبد الله الأحمر ، وكان هناك الأستاذ نعمان ، فلمحني بين ذلك الجمهور الكبير في مجلس القات وفمي منتفخ بأوراق القات ، فقال الأستاذ نعمان مبتسمًا بعد إلقاء السلام : " هكذا ضحك اليمنيون عليك ، وعلموك مضغ القات". فتلعثمت في الرد عليه ، ولكن بعض الأصدقاء حوله ردوا عليه ، قائلين : " بلّ الدكتور ، قد أصبح مولعي بالقات بعد شهر واحد من وصوله إلى اليمن ". فضحك الأستاذ نعمان وغيره ، وعرفت حينذاك أنه لم يكن من ماضيي القات بل ، كان يترفع عن مضغه .

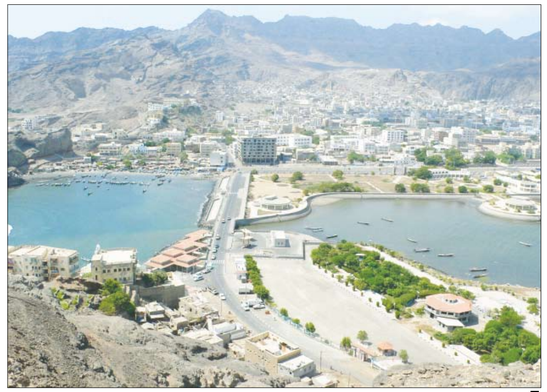

■ مدينة عدن

تراثـــه الفكـــري

□ هل كان الأستاذ أحمد نعمان له تراث فكري مثلما له تراث سياسي كبير ؟ .

في الحقيقة أنّ الأستاذ نعمان ، كان من الطراز الأول في الفكر اليمني الحديث المعاصر وكان يمتلك رؤية عميقة وواسعة مستقبلية لنهضة اليمن أو بعبارة أخرى ، كان لديه مشروع ثقافي عريض ، فقد وضع دستورًا فكريا وثقافيا واعيًا ومازالت آثاره حتى يوم الناس هذا . ومرة أخرى أؤكد أنّ الأستاذ نعمان رسم الخطوات لأبناء اليمن في الوطن والمهجر التعليم لأنه أساس نهضة وازدهار اليمن من ناحية والقضاء على نظام الحكم المستبد والفاسد المتمثل بحكم أسرة حميد الدين من ناحية أخرى .

في عـــدن

ففي مطلع عام 1960م ، وصل الأستاذ نعمان إلى عدن بعد غياب طويل عنها دام 16 عامًا ، حيث زارها خفية ومتسللا لأول مرة في سنة 1944م هو ورفيق كفاحه الشهيد محمود الزبيري هربًا من بطش ولي العهد أحمد ــ حينذاك ــ والذي كان مقره في مدينة تعز. ويمضي الدكتور سيد مصطفى في حديثه: وكان أنصاره ومريدوه، قد استقبلوه استقبالا حافلا في عدن ، وطالبوه بالتحرك السياسي بدلا من ذلك الركود الذي يعيشون فيه، لكن الأستاذ نعمان كان يرى التأني وبناء قاعدة شعبية متعلمة مثقفة لتساند العمل السياسي الثوري وتدعمه . ويذكر الأستاذ الدكتور محسن العيني (رئيس الوزراء الأسبق في اليمن) في كتابه (خمسون عامًا في الرمال المتحركة) أنه كان من بين المعارضين للأستاذ نعمان في التوجه إلى بناء المدارس في الوقت الذي يعيش فيه اليمن تحت نير نظام الحكم الإمامي البشع . وفي هذا الصدد ، يقول محسن العيني في صفحة 43 من الكتاب : " وقد عارضه كثيرون، وأنا منهم ، وقلنا : كيف تدعون الناس في الأربعينيات إلى الثورة واليوم وفي بداية الستينيات والناس يستجيبون دعوتكم ، تتخلون عنهم وتبدؤن الدعوة لفتح المدارس؟. . . وقد أمرت السلطات البريطانية بإبعاده من عدن بعيد وصوله " .

النضال مستمر

والحقيقة أنّ الأستاذ نعمان لم يتخل عن النضال السياسي ضد نظام حكم أسرة حميد الدين ، وكان يؤكد دائمًا وأبدًا أنّ التعليم وحده قادر على إزاحة الظلم أينما وجد ، وأنّ الأمة البعيدة عن نور التعليم تتخبط في متاهات الظلم والظالمين. وفي رسالته الموجهه إلى أبناء اليمن في الوطن والمهجرة يؤكد ضرورة نشر التعليم بينهم. وفي هذا الصدد ، يقول : " إنّ الأمم الجاهلة ليست إلا قطعانا من السوائم ، وآلة مسخرة يعيث بها كل مستبد ظالم ومستعمر غاشم وأنّ العلم وحده هو الذي يمنح صاحبه الحق في كل الوطن ، وأنّ الجهل يسلبه وطنه وأرضه ، وادميته " . ويمضي سيد مصطفى في حديثه بأنّ الأستاذ نعمان نفى عن نفسه نفيًا قاطعًا أنه تخلى عن النضال والكفاح ضد نظام الإمامة الذي أذاق الشعب اليمني الشقاء، والبؤس والجور وأدخل اليمن في نفق مظلم، وأنّ دعوته الملحة إلى التعليم لا تعني كُفره بالنضال والكفاح بل هو مستمر في طريقه بكل قوته وجهده .

كليـــة بلقيـــس

حول موقف الأستاذ نعمان من تأسيس المدارس في طول وعرض اليمن، وضرورة أنّ يتعلم أبناء اليمن في الوطن والمهجر. يقول الدكتور سيد مصطفى فكان يطالب أبناء اليمن في الوطن والمهجر باستمرار أنّ يتعلموا ، ويتعلموا ليكوّنوا لبنات قوية تدعم العمل السياسي عند عودتهم إلى الوطن. وهو لذلك ينصح ويكرر النصح بضرورة الإقبال على العلم وتشييد المدارس والتعاون والتكاتف من أجل ذلك ، ثم أشار إلى أنّ المشروع العظيم وهو إنشاء (كلية بلقيس) سيكون النواة الروحية التي تتجمع حوله مشاعر اليمنيين جميعًا، وإيمانهم ، وصدقهم ، وعزمهم وجدهم، وإخلاصهم، وإرادتهم. ويواصل الأستاذ نعمان حملته الثقافية القيمة أو بعبارة أخرى مشروعه التعليمي وهي تأسيس (كلية بلقيس) في عدن ثغر اليمن .

ورأى المشروع النور

وبعد أنّ قررت السلطات البريطانية في مستعمرة عدن ــ ميندّن ــ إبعاد الأستاذ أحمد نعمان في 27 يونيو 1960م واستقراره في القاهرة ، فإن مشروعه الثقافي العلمي هو إنشاء (كلية بلقيس) يضم كافة أبناء الشعب اليمني شمالا وجنوبًا على تباين فئاتهم الاجتماعية ، قد وجد من يتحمس له ، ويبذل الجهود من أجل أنّ يرى هذا المشروع النور . وفي هذا الصدد ، يقول الدكتور سيد مصطفى سالم : ورغم ذلك ، فقد كان مما يثلج صدر الأستاذ نعمان عند عودته إلى القاهرة ، ويرفع عنه ألمه نتيجة الإصرار على إبعاده عن عدن . هو أنه قد وجد من يتبنى مشروعه الثقافي الثوري من أبناء عدن ، وهم الذين تقدموا بطلب إلى السلطات البريطانية لمنحهم قطعة أرض واسعة لينشئوا عليها ذلك المشروع وهو (كلية بلقيس) ، وكان هذا المشروع العلمي محل إجماع شعبي تجلى بمختلف الصور . ويسترسل سيد مصطفى : والحقيقة أنّ الكثير ممن تعرفت عليهم في صنعاء وعدن من أبناء ثورتي 26 سبتمبر و 14 أكتوبر ، كانوا من طلبة (كلية بلقيس